قراءة في قصيدة الأسلحة والأطفال للشاعر بدر شاكر السياب

م.م. محمد حمزة عبد الواحد عيسى الجبوري
جامعة بابل / كلية العلوم الإسلامية/ بابل/ العراق
Muhammad Hamza Abdul Wahed Issa Al Jubouri
University of Babylon / College of Islamic Sciences/ Babylon /Iraq

المستخلص:
من خلال دراستي لهذه القصيدة اتضح بان هذه المطولة قد طرحت مشكلات مصيرية تتعلق بمصير الإنسان ومستقبله وقد أراد الشاعر ان يثبت دعائم السلام ويعمل على نشره في العالم اجمع ، فالأحداث كانت تدور حول الصراع بين الموت والحياة او السلام والحرب والسمة الغالبة على هذه المطولة هي السمة القصصية إذ حضرتْ فيها الاحداث والشخصيات والصراع ،اما بالنسبة الى الجوانب الفنية لهذه القصيدة فقد احتوت على ثروة لغوية فقد استعمل الشاعر بدر شاكر السياب ألفاظاً قديمة ومعاصرة وقد وظفها في خدمة هذه القصيدة فضلا عن الصورة الشعرية فالقصيدة عبارة عن صور مركبة متراكمة فنجد هناك صور حسية ومعنوية ولفظية، وأيضاً جاء السياب بأسس أخرى للشعر في قصائده فنجد الوعي في شعره وزوال النمطية الأحادية من القصيدة العربية، وهو نمط القصائد الطوال وهو اسلوب اتبعه السيّاب في بعض قصائده كـ (المومس العمياء).
الكلمات المفتاحية : السياب , الأسلحة ، الأطفال , اللغة , الصورة .

Abstract:

Through my study of this poem, it became clear that this lengthy poem raised crucial problems related to the fate of man and his future. The poet wanted to establish the foundations of peace and work to spread it throughout the world. The events revolved around the struggle between death and life, or peace and war, and the dominant feature of this lengthy poem is the narrative feature. Events, characters, and conflict were present in it. As for the artistic aspects of this poem, it contained a linguistic wealth. The poet Badr Shaker Al-Sayyab used ancient and contemporary words and employed them in the service of this poem, in addition to the poetic image. The poem is composed of accumulated complex images, so we find there sensory, moral, and verbal images. Al-Sayyab also brought other foundations for poetry in his poems, so we find awareness in his poetry and the disappearance of the monolithic stereotype from the Arabic poem ، It is a style of long poems, and it is a style that Al-Sayyab followed in some of his poems, such as (The Blind Prostitute) .

Keywords: swords, weapons, children, language, image

المقدمة :

لقد درست في هذا البحث قصيدة الأسلحة والأطفال وذلك لأهمية هذا الموضوع فضلا عن رغبتي الخاصة بدراسة هذه القصيدة وذلك لأنها تعالج مشكلات ذات مغزىً إنساني فهي تحارب الفساد والحرب وتؤيد الحب والسلام ،وبنيت القصيدة على ذلك ،مع أن الموضوع مستوحى من طبيعة انتمائه السياسي والإنساني العام.

وقسمتُ هذا البحث على مبحثين :

الأول : اللغة الشعرية .

الثاني : الصورة الشعرية .

وقد رجعت الى المصادر التي تناولت دراسة الشعر العراقي المعاصر ومن أهم هذه المصادر: لغة الشعر العراقي المعاصر لعمران الكبيسي وكذلك دير الملاك لمحسن اطيمش فضلا عن مصادر اخرى.

ومن المشاكل التي واجهتني في أثناء عملية البحث فهي كثرة الدراسات وتعدد وجهات النظر من المؤلفين والباحثين.

المبحث الأول

اللغة الشعرية:

هي واحدة من مكونات البناء الفني للقصيدة ولا يمكن الحديث عن العناصر والمكونات من دون أن تحظى لغة القصيدة بالعناية الأولى من جهة المتحدث[1].

فاللغة هي عبارة عن الألفاظ والتراكيب اللغوية ، والألفاظ هي وسيلة للتعبير عن المعاني، فعرض المعاني بالألفاظ السهلة والكافية ذلك هو جوهر الشعر، لذلك يمكن أن تخلو من القصيدة من الخيال أو الموسيقى التي تلائم الأذواق أو الموضوع المفيد لكنها لا يمكن أن تخلو من الألفاظ والتراكيب[2].

ويرى النقاد أنّ اللغة هي المادة الأساسية أو الأولية للأدب وقد تحددت ألفاظ اللغة عن طريق القياس إلى عالم الأشياء الحسي، أما عالم النفس المعنوي من أفكار ومشاعر فلا تزال اللغة قاصرة على ان تحدد معانيه وبذلك ظهرت الحاجة الماسة إلى الاستعانة بوسائل لا تقتصر على مجرد دلالات الألفاظ الحقيقة وحدها ، لذلك ظهرت ظاهرة المجاز وما يتبعه من كناية واستعارة وتمثيل فهي تؤذي وظيفة في التعبير عن الحقيقة[3].

وذهب الدكتور محسن اطيمش إلى أنَّ لغة الشاعر الحديث تحددها نظرته للحياة، إذ يمكن أنْ تكون لغة القصيدة رومانسية او فصيحة تتخللها ألفاظ عامية او قد تكون سياسية وذلك تبعا لنظرته للواقع قد تكون نظرة رومانسية ويوظف فيها الألفاظ الرومانسية أو قد يوظف الألفاظ العامية المستقاة من الحياة اليومية او قد يحوي القصيدة عبارات وشعارات سياسية[4].

1- ينظر:بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر، مرشد الزبيدي ، دار الشؤون الثقافية العراق. بغداد ، 1994: 26

2- ينظر: م.ن:26

3- ينظر أصول النقد الأدبي، طه مصطفى أبو كريشة، دار الشؤون الثقافية العامة ،لبنان،ط1996،1 : 255-254

4- ينظر: ديرالملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، اطيمش دار الرشيد للنشر، العراق، بغداد، 1982: 172

كل ذلك يدل على مدى مهارة الشاعر الحديث في توظيف لغة القصيدة تبعا للموقف النفسي أو الاجتماعي او الضرورة الموضوعية او اللغوية، وبخلاف ذلك أي إذا كانت الرغبة شخصية وغير مبررة لا تخضع للضوابط فهذا يقود الشاعر إلى الابتذال ويسئ للقصيدة أكثر مما ينفعها ونخلص من ذلك إلى ان لغة الشعر شديدة الارتباط بموقف الشاعر من الحياة ورؤيته لها[5].

وان الشاعر الحديث استطاع ان يخلق لغة شعرية جديدة وان يصور حالات نفسية وشعورية من خلال العلاقات الجديدة التي تربط الألفاظ بالمعاني ،وتذكر أمثلة على ذلك بان الشاعر المعاصر لم يعد يلتزم بان المضاف هو من لوازم المضاف إليه او من متعلقاته واستطاع ان يصف او ينعت الأشياء بنعوت لم ترد في اللغة القديمة وان هذه الطريقة يمكن ان تخل بلغة القصيدة والشاعر الجاد يستطيع بأسلوبه ان يخلق للفظ إيحاءً جديدا[6].

إن لغة السياب لغة تتجاوز فيها الدلالة على المعنى التي وضعت له في الأصل وتتحول الدلالة في لغته من مجرد كلام كونها وسيلة للأداء إلى لبنة من لبنات الدلالة في النص فتوحي أكثر مما تخبر وتتنامى بالقصيدة ومن خلال القصيدة ، أي انه لم يقف خارج ذاته ولم يكتب في لحظة انفصال عن هذه الذات فهي لغة استدعاء أكثر من كونها تكوين وان المحرك الأكبر لها هي ذاتيته مما يجعلها لغة مشبعة بالدلالات صحيح ان اللغة سابقة على الشعر ولكنها مع السياب المبدع فانه يجعلها تنبع من داخل تجربته[7].

وعلى الرغم من انه لم يكمل دراسته في قسم اللغة العربية في دار المعلمين العالية الا ان لغته كانت بشكل عام اقرب إلى اللغة التراثية وذلك من حيث التركيب ومن حيث المفردات والسبب في ذلك هو قربه من النماذج التراثية وتأثره بعدد من الشعراء القدامى ويؤكد السياب ان الشعر الحديث اهتم باللفظة واعتنى بها وهذا لا يعني ان الشاعر القديم لم يهتم بها ولكن الشاعر المعاصر الذي ورث من القدماء كماً هائلاً من الألفاظ التي رثت لكثرة ما تداولتها الألسن والأقلام فقام بإعادة اعتبارها ونفخ فيها روح الشباب [8] .

والسياب استطاع بما يملك من مكانة شعرية مرموقة أن يجدد عدداً من الألفاظ القديمة ويفجر فيها المعاني الجديدة فقد تحولت وظيفة التعبير عنده وذلك للوثبة الخلاقة للشاعر التي أدت إلى تحول دلالية القاموس الشعري العربي [9].

5- ينظر: م.ن:173

6- ينظر: لغة الشعرالعراقي المغاصر ،عمران خضير حميد الكبيسي ،وكالة المطبوعات الكويت، ط1: 1982: 73.

7- ينظر : بدر شاكر السياب التجربة ومفهوم الريادة ، ماجد صالح السامرائي ،وزارة الثقافة والإعلام ، مهرجان المربد الشعري العاشر ، 1989: 10،11

8- ينظر : الشعر الحر في العراق ، يوسف الصائغ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2006: 112-214

9- ينظر: الشعر الحر في العراق : 11

ويستطيع القارئ أن يميز قصيدة السياب من بين مجموعة من القصائد وذلك لأسلوبه المميز ومفرداته الخاصة به فهو حاول التخلص من طريقة التأليف المألوفة في النظم وانه ينهك اللفظة ويدجنها فيجعلها طيعة الانقياد تنضح بمشاعره . ولكنه غالبا ما يحشد الألفاظ دون مسوغ [10].

من خلال قراءة قصيدة الأسلحة والأطفال للسياب نلاحظ وجود مجموعة من الألفاظ المعجمية التي استلهمها الشاعر وإعادة صياغتها ووضعها بما يخدم الشعرية وبما يتلاءم مع روح العصر ،فالسياب يختار الألفاظ القديمة أو الألفاظ المعاصرة حسب حاجته وبطريقة جميلة فمن الألفاظ القديمة التي استعملها (زعزع ، شأو ، تصخاب) .

فهو يستعمل لفظة (شأو) وهي مصدر تدل على الغاية البعيدة ، يقال فلان بعيد الشأو والشاعر استعملها في قوله:

وشأو من الصوت مستعجل [11].

أو يختار لفظة (زعزع)ومعناها الريح في قوله :

ستمتاح منها ألوف القبور

ويهوي مع الزعزع العاتية[12]

وكذلك استعمل لفظة (تصخاب) وهو صوت مبالغة على وزن تفعال وهنا توظيف للتراث العربي:

وتصخاب بحارة السندباد[13]

او الألفاظ المعاصرة فقد استعملها الشاعر لملائمتها لروح العصر ومن الألفاظ (فانوس، الرصاص، صفارة) أو أسماء الإعلام (كورية ـ مارسيليا ،باريس ، بغداد)يقول :

كخفق الفراشات مر النهار

عليها بفانوسه الأرزاق[14]

والتركيب عند بدر متين جزل حافل بأساليب الاستفهام والتعجب والتقديم والتأخير وهذا ما جعل أسلوبه مميزا عن غيره من الشعراء[15] .

10- ينظر : بدر شاكر السياب ، انطونيوس بطرس ، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس: 231

11- الأعمال الكاملة، أنشودة المطر ، بدر شاكر السياب:298

12- م.ن: 304

13- م.ن:296

14- م.ن:297

15- ينظر :الشعر الحر في العراق :118

وقصيدته الأسلحة والأطفال حافلة بهذه الأساليب وخاصة أسلوب الاستفهام فهو مكرر بصورة متتابعة فقد نجد في المقطع الأول من قصيدة يفتتحه الشاعر بأسلوب استفهام فهو يقول :

عصافير؟ أم صبية تمرح [16]

ربما أراد الشاعر من هذا استفهام ،لجلب انتباه السامع أو القارئ فهو يستفهم بالعصافير وهنا قد استعمل الشاعر الرمز فالعصافير هي رمز للأطفال ووجه الشبه بينهما هو البراءة ، فهو يستفهم عن ماهية العصافير هل هي عصافير آم صبية تمرح ؟

كذلك نجده يكرر هذا الأسلوب في المقطع الثاني

عصافير ؟ آم صبية تمرح ؟

آم الماء :من صخرة ينضح[17]

نلاحظ من خلال قراءة هذا المقطع إن الشاعر أراد من هذا الاستفهام المجازي التشويق ، ففي هذا المقطع نبرة من الأمل والابتهاج والحيوية والخصب فالقبرة تصدح على التفاحة المزهرة والزهور تتفتح فكل الألفاظ التي استعملها الشاعر ذات خصوبة ، ومرح وأمل ثم يعود الشاعر إلى الاستفهام نفسه لكن العصافير تمرح على جثة دامية والقبرة تصدح على خربة بالية فقد تغيرت دلالة الاستفهام الأول في المقطع الثاني فقد كان الشاعر يشوق القارئ إلى ما سيحصل ماذا سيحدث لهذه العصافير الشادية؟ أسيستمر على هذا الوضع أم لا يستمر به ؟ وهكذا استمر الشاعر يصف الأحداث ويربطها مع بعضها البعض أي عمل على تطور البنية الدلالية للقصيدة مستعيناً بأسلوب الاستفهام المكرر.

وفي المقطع نفسه نجد استفهاماً الغرض منه التفجع وتعظيم الموقف فهو يقول :

له الويل ... ماذا يريد؟[18]

فقد أراد تصوير الموقف بصورة مفجعة صورة ذلك التاجر وهو ينشر الموت والخراب وهو خائض في مسيل الدم لذلك عمد إلى هذا الأسلوب.

كذلك هناك أسلوب استفهام أراد منه التعجب

أتلك السفين التي تمول ![19]

16- الأعمال الكاملة:296
17- الأعمال الكاملة :298
18- م.ن:300
19- م.ن:298

فهو يتعجب من تلك السفن التي كانت تجلب الحياة للناس أصبحت تسوقهم إلى الموت.
وأيضاً قد عمد الشاعر الى استعمال التقديم والتأخير

بإقدام أطفالنا العارية
يمينا وبالخبز والعافية [20]

قدم الشاعر أقدام الأطفال العارية لأهميتها في ذهن الشاعر فقد جرى القانون أن "يقدم في الحياة ما هو ذو أهمية "[21] وهكذا فعل السياب قدم الأطفال هنا لأنهم أصل الحياة في ذهنه لكي يؤكد ويعظم الأمر الذي هو عازم عليه أكثر، وكرر القسم ثلاث مرات في موضع واحد والقسم "هو عبارة عن ان يحلف على شيء بما فيه مدح أو فخر أو تعظيم "[22] فهو يقسم بأقدام الأطفال وبالخبز والعافية ان تعفر جباه الطغاة وعلى أرجل الأطفال العارية يذوب الرصاص الذي يقتل ويدمر وينشر الرعب في نفوس الناس ، وهنا تعظيم لشأن الأطفال في الحياة.
أما في التركيب النحوي الذي يتضمن دراسة التراكيب النحوية الشائعة في أسلوب الشاعر فنجد في هذه القصيدة سيادة الجملة الأسمية وبه الجملة غالبا ما يتقدم الخبر وكذلك كثرة استعمال (واو)العطف يقول:

عصافير ؟ أم صبية تمرح
عليها سنا من غدٍ يلمح ؟[23]

جملة اسمية تمتد إلى سطرين شعريين يتقدم فيها الخبر على المبتدأ وتقدير الكلام (هم عصافير)

وأقدامها عارية [24]

الواو هنا خالية وهي جملة اسمية ، وتكرار واو العطف فهي جمل حالية للوصف

وهسهسة الخبز في يوم عيد
وغمغمة الأم باسم الوليد[25]

20- م.ن:370
21- المعاني على الأسلوب ،د. مصطفى الصاوي الحبوبي ، دار المعرفة الجامعية ، مصر الإسكندرية ، 1996 :32
22- المعجم المفضل في علوم البلاغة ، د. إنعام فوال عكاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط2 ، 1996 :62
23- الأعمال الكاملة :296
24- م.ن:24
25- م.ن:296

ويتسم الشاعر بتكرار الجمل الاسمية التي يقع فيها الخبز في الجملة الثانية او السطر الثاني من القصيدة :

وهم في ليالي الشتاء الطوال
ربيع من الدفء والعافية [26]

(هم) مبتدأ و(ربيع)خبر
وإلى جانب الجملة الاسمية التي يتقدم فيها الخبر على المبتدأ نلاحظ هنا فعلية يتقدم فيها شبه الجملة على الجملة على الأفعال مثلا في قوله:

وفي ظل تفاحة مزهرة
تنام العصافير فيها (27)

وفي القصيدة جملة اسمية كقوله:

حديد عتيق

حديد عتيق[28]

وكذلك نجد جمل اسمية محذوفة المبتدأ كقوله :

على الحقل والدار والمكتب

على معمل للدُّمى والنسيج

على العشِّ والطائر الارغب

على التوت وسنان فيه الأريج[29]

26- م.ن:297

27- م.ن:298

28-م.ن: 299

29- الاعمال الكاملة :207

والتقدير (السلام على الحقل)،(السلام على معمل)،(السلام على العش)،(السلام على التوت)

وقد اقتبس بدر موضوع قصيدته من موضوع قصيدة لستويل وقد عرفت بهوسها بالرمز الشعري وقد اخذ عنها بدر هذه المسالة والإفراط في المجاز وقد تنبه إلى حكاية الصوت وهي فنون صناعة الشعر الانكليزي فقد اخذ عن ستويل (هسهسة ،غمغمة، كركر، صلصلة، دغدغة)وقصيدة الأسلحة والأطفال زاخرة بهذه الألفاظ .

فنجده يضمن مشهداً من مشاهد مسرحية روميو وجوليت ويذكر عبارة (ماكبث) ليغني السياق وهذا هدف التضمين عند ستويل واليوت ويثير السياب في المقطع الخامس من قصيدة الأسلحة والأطفال مجموعة من الأسئلة حول الأطفال [30] فهو يقول :

ومن يفهم الأرض إن الصغار

يضيقون بالحفرة الباردة ؟

إذ استنزلوها وشط المزار

فمن يتبع الغيمة الشاردة

ويلهو بلقط المحار ؟[31]

فقد ضمن الشاعر بيتين من قصيدة سيتويل وقد ترجم عنها في الهامش "إن الأرض عجوز شاخت حتى لا تعلم بان الصفار حركون كظلال الربيع .[32]

30- ينظر :النفخ في الرماد ، د. عبد الواحد لؤلؤة ، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق .بغداد ،ط2 ، 1989 :188- 190

31- الأعمال الكاملة :304

32- م.ن: 304

33- لسان العرب ، ابن منظور ، دار الحديث ، القاهرة :7/ 632

بنية التكرار:

التكرار لغة :

((هو مصدر كرر إذا ردد وأعاده فالكر الرجوع ويقال كرة وكر بنفسه والكر مصدر كرَّ عليه ويكرُّ كراً وكروراً وتكرارا يقال كرر الشيء تكرارا وتكرارا: إعادة مرة بعد أخرى "[33]
وفي الاصطلاح: "هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا كقول لمن تستدعيه أسرع أسرع فان المعنى مردد واللفظ واحد))[34]

إن للغة دوراً بارزاً في إحداث التكرار لان مدى المعاني أوسع من مدى الألفاظ لذلك يستدعي إعادة الألفاظ بهيئات مختلفة ومتعددة وقد تكون طبيعة الشعر هي من بواعث التكرار فالإيقاع والتفعيلات والبحور مكررة او قد يكون الأثر النفسي عند الشاعر يريد إيصاله بدقة أي انه يتقصد التكرار في قصيدته [35]

والتكرار عند السياب يأتي لأسباب كثيرة فهو ذو فائدة ايجابية ويعطي جمالية تؤدي حركة تزخر بالصور والمعاني وفي هذه القصيدة تحديداً نجد التكرار زاخراً ومنتشراً بشكل واسع.

أنواع التكرار

تكرار الحرف : وهو ابسط أنواع التكرار واقلها تأثيراً في المعنى وقد يلجأ إليه الشاعر لتعزيز الإيقاع وربما يكون ناتجاً عن لا وعي من قِبَل الشاعر ونجد هذا النوع شائعاً في قصيدة الأسلحة والأطفال [36].

34- المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر ،ضياء الدين بن الأثير نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة:3/3

35- ينظر: التكرار في شعر محمود درويش ، فهد ناصر عاشور ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،الأردن ، ط1 ،2004 :23 -33

36- ينظر: لغة الشعر العراقي المعاصر :144

فقد عمد السياب إلى تكرار الحرف في الكلمة الواحدة فمثلاً يكرر حرف الصاد في كلمة (يصلصل)وكذلك الهاء والسين ،(هسهسة)والغبن والميم في كلمة (غمغمة)ويدغدغنها وأيضا تكرار للصوت النون كثيراً في هذه القصيدة لما لهذا الصوت من إيقاع مثل (تناغيه، نار،نور،نداء)فهو يكرره بشكل مستمر في مقطع القصيدة وقد عمد الشاعر إلى تكرار حرف العلّة الواو أكثر من مئة وعشرين مرة في هذه القصيدة والسبب في ذلك هو ان القصيدة ذات نزعة قصصية وحرف الواو هو من لوازم القص، فهو يقول :

وشأو من الصوت المستعجل
وهم من رفقة الأم إذا تستفيق
وإذا تشعل النار في الموقد
...
وقبرةُ تصدح
وتفاحة مزهرة[37]

وكذلك نجد تكرار حرف الجر (على)وذلك لتوكيد الصورة وتوسيعها افقياً[38]

(وعلى الحقل ، على المعمل ،على العش ،على التوت،على صبية ،على شاعر).

تكرار الكلمة:

قد يلجأ الشاعر إلى تكرار ألفاظ وذلك لتأكيد المعنى الذي تؤديه تلك اللفظة ويكون هذا التكرار في بداية المقطع أو في نهايته أو بين أوانه وأخرى .[39]

37- الأعمال الكاملة :298

38- ينظر :لغة الشعر العراقي المعاصر:148

39- ينظر :م.ن:152

وقصيدة الأسلحة والأطفال زاخرة بتكرار الألفاظ سواء كانت أسماء أم أفعال؟ فالسياب يكرر السماء فيها وذلك لما تحمله من دلالات شعورية رمزية متعددة فنجد هذه الألفاظ متكررة عنده (عصافير ،زهور،نور،حياة،مهد،صبية) وإلى جانب ذلك يكررالأسماء الموحية بالدمار والحرب(حديد، رصاص،موت،ردى،ظلام)ويكررالأفعال لتوكيد المعنى (تغلغل،تخضل، يصغي،تغمغم،خفق)

ومن الملاحظ إن السياب يكرر الكلمة بشكل متتابع في هذه القصيدة للتوكيد توكيداً لفظياً أيضاً (حديد حديد)(ذراع ذراع)(الحياة الحياة)(رصاص رصاص) (وداعا وداعا) فهو يقول:

لأن الطواغيت لايحلمون
لأن الطواغيت لا يسمعون
لأن الطواغيت لا يبصرون[40]

تكرار النقط:

وهو تكرار النقط وعلامات الترقيم والتعجب وهذا النوع شائع كثيراً في قصائد بدرشاكر السياب فهو يحاول بهذه الطريقة إيصال ما يريد إيصاله بدقة نلاحظ هذا المقطع من القصيدة [41]

فما اختاره الاه كنزا ... وعاد ![42]

حديد عتـ ... يق
رصا..ص
حديـ ..د[43]
حديد .... حديد [44]

40- الأعمال الكاملة :306

41- ينظر: بدر شاكر السياب دراسة أسلوبية لشعره،د. إيمان الكيلاني ،دار وائل للنشر ،الأردن ـ عمان ،ط1 ، 2008: 299

42- الأعمال الكاملة: 297

43- م.ن:299

44- م.ن:303

وقد عمد الشاعر إلى تقطيع حروف المد في الكلمات (حديد،رصاص)وذلك لنقل ملابسات الموقف فهو صوت غليظ مستكره يطيل فيه المنادي وتشعرنا بصوت تساقط الرصاص والحديد المفخمين على الأرض من جالبين الموت والدمار وقد طبعت بالخط الغليظ بين علامتي تنصيص[45]

45- ينظر : بدر شاكر السياب دراسة أسلوبية لشعره:47

المبحث الثاني

الصورة الشعرية:

الصور الشعرية هي من مكونات البناء الفني للقصيدة "ولقد عانت الصورة الشعرية اضطرابا في التحديد الدقيق مصطلحا مستقرا حتى بدت تحديداتها غير متناهية، وصار غموض مفهومها شائعا بين قسم كبير من الدارسين "[46].

فقد وردت تعريفات عديدة للصورة فيرى احمد الشايب بان " الوسائل التي يحاول الأديب نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرائه وسامعيه تدعى الصورة الأدبية "[47].

وقد عرفها د. جابر عصفور بأنها " أداة الخيال ووسيلته ومادته الهامة التي يمارس فيها ومن خلال فاعليته ونشاطه "[48] ويبن أهمية الصورة الفنية فهي تنحصر فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية أو تأثير لكن الصورة لا تغير من طبيعة المعنى لكنها تغير في طريقة تقديمه أو عرضه[49] .

أما عند د. احمد دهمان فيرى إنها " تعبير استعاري مثل التشبيه والكناية والاستعارة بأنواعها أما إذا كان مفهومها ينسحب على أي رسم للصور في الشعر فذلك يوسع من دلالة المصطلح اشد توسع "[50].

او هي " تركيب لغوي لتصوير معنى عقلي وعاطفي متخيل للعلاقة بين شيئين يمكن تصويرها بأساليب عدة "[51].

46- الصورة الفنية في النقد العربي الحديث ,بشرى موسى الصالح ,أطروحة دكتوراه,جامعة بغداد ,كلية الاداب,1987:60
47- أصول النقد الأدبي احمد الشايب ,مكتبه النهضة , مصر ,ط:5,1955:242
48- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي,د. جابر عصفور , دار الثقافة للطباعة والنشر ,مصر,1974:19
49- م.ن:392
50- الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني, د. احمد دهمان, منشورات دار الثقافة ,دمشق, ط2,2000:132
51- بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر :45

" والصورة في ابسط معانيها هي رسم قوامه الكلمات وان الوصف والمجاز والتشبيه يمكن ان يخلق صورة {...} وان كل صورة شعرية الى حدّ ما مجازية {...} ويمكن ان تستقى من الحواس الأخرى أكثر من استقائها من النظر "[52].

وللصورة أهمية , وتأثير كبير في نسبه القصيدة فهي أداة خطيرة تسهم في تشكيل القيمة التعبيرية بتآزرها مع العناصر الأخرى لاسيما الموسيقى فان لها اثراً فاعلا في الخطاب الشعري.[53]
والشاعر الحديث له القدرة على ابتكار صور خاصة به وهذه الصور المبتكرة هي جديدة من نوعها يتخذها الشاعر هدفا وميزة مهمة في شعره مقابل ذلك نجد الشاعر المعاصر قليل الاهتمام او عديم الاهتمام بالأسلوب والوزن .[54]
وللسياب إسهامة كبيرة ومجددة في تطور أنماط التعبير الشعري ,فقد عرفت الصورة الشعرية عنده بأبعادها الجديدة هاجرة مهمتها القديمة كدعامة او تزيين فقد أصبحت أداة للخلق الدلالي في القصيدة وان قدرة هذا الشاعر الفائقة على الإدهاش تكمن في الصورة الشعرية وهذه القدرة لا ترجع إلى حالة التناغم والامتزاج بين ذات الشاعر والأشياء او
بين انفعالاته ومدركاته وإنما نمو الفكرة لديه مما يسهم في تحقيق التطور في المبنى الشعري[55].
والصورة عند السياب كثيرا ما تنساب وتتمدد وفي بعض الأحيان تتشابك بعلاقات وتتسع وتمتزج في ثنيات ارتباطات أخرى وذلك بسبب مشاعره وانفعالاته المتدفقة 0 والسياب رسّام ماهر وقد جاءت قدرته الفذة على رسم صوره التعبيرية بأسلوب شعري رفيع بسبب سيطرته على أدوات التعبيرية 0
وقد حفلت مطولته الأسلحة والأطفال بالصور والايحاءات وذلك عن طريق الرمز فهو وجه من وجوه التعبير بالصورة وغالبا ما تتحول الصور إلى رموز [56] 0

52- الصورة الشعرية , سي دي لويس ,تر:احمد نصيف واخرون ,دار الرشيد ,العراق-بغداد,1982:21
53- ينظر : رماد الشعر دراسة فنية في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق ، د0عبد الكريم راضي ، دار الشؤون الثقافية العامة العراق ، بغداد ، ط :1، 1998 : 306
54- ينظر : الصورة الشعرية : 21
55- ينظر : بدر شاكر السياب التجربة ومفهوم الريادة : 11 – 12
56- ينظر : الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث ، محمد علي كندي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ط : 1 ، 2003 : 52
ونجد تشابها بين الصورة والرمز فالصورة وما تمثله والرمز وما يوحي به فكلاهما مستمدان من خيال الشاعر او قد يستمدها الشاعر من الواقع الذي يعيش فيه للتعبير عن قضية معينة [57]0 والصوره في هذه

القصيدة تتصف بالتلاحم وذلك نتيجة للانفعال الواحد الذي ينمو ويتطور في رحم الصور المتتابعة والمترابطة والتي تؤدي اثراً موحداً [58]0

أنواع الصورة:

قسمت الصورة تقسيمات متعددة ، ولها مسميات او مصطلحات كثيرة من هذه التقسيمات :

(1) الصورة المعنوية " كلمة مصورة تعبر عن معناها او تدل على معنى قريب منها " [59]

(2) الصورة الحسية : وهي التي " تشمل على كل مدركات الحواس ولا تقتصر على جانب منها دون آخر وهي تجمع بين بُعد حسي مادي وآخر عاطفي تجريدي لتقديم خطوة أخرى نحو طبيعتها الموحية الرامزة " [60]

(3) الصورة اللفظية : " الرسائل التي تؤثر في الكلمات المكونة للجملة لغرض بلاغي " [61]

(4) الصورة الرمزية : " صورة الشيء او الموقف الذي ينطوي عليه مغزى أخلاقي " [62]

(5) الصورة المركبة : " وهي مجموعة من الصور البسيطة المؤتلفة " [63]

(6) الصورة المفردة : " وهي ابسط مكونات التصوير وهي تشمل تصويراً جزئياً لمعنى محدد " [64]

57- ينظر : الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، د 0 محمد فتوح احمد ؛ دار المعارف مصر 0 القاهرة ؛ ط2؛1978 :55

58- ينظر :بدر شاكر السياب دراسه اسلوبيه لشعره : 20

59- معجم المصطلحات العربية باللغة والأدب ، مجدي وهبة وكمال المهندس ؛ مكتبة لبنان 0 بيروت ط2؛ 1984 : 288

60- الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث : 30

61- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : 228

62- م 0 ن : 228

63- بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر : 47

64- م 0 ن : 47

أمـا في قصيدة السياب الاسلحة وألاطفال فنجدها حافلة بالصورة الشعرية فقد استعمل الشاعر الصور المركبة التي تقوم على المقابلة بين شيئين ويعمل على تكرار هذه الصورة بشكل مستمر في هذه القصيدة " ويرسم الشاعر صورتين مركبتين متضادتين يقابل فيهما بين الواقع المر والواقع النقيض الذي يتطلع إليه الشاعر من خلال رؤيته الخاصة للحياة والوجود " [65]

فهو يقول :

عصافير أم صبية تمرح ؟
أم الماء من صخرة ينضح
فيخضل عشب وتندى زهور[66]

صوّر الشاعر الأطفال وهم يلعبون ووصف الأجواء الطافحة بالحب والسلام فهي مجموعة صور بسيطة

للأطفال ويقابل بصورة أخرى مليئة بالموت والدمار ، يقول :

ولكن على خربة بالية
عصافير
بل صبية تمرح
وأعمارها في يد الطاغية
تغلغل فيها صوت بعيد :
حديد عتـ00000يق
رصا0000ص
حديـ0000د [67]

وكذلك نجد السياب قد استعمل الصور الحسية كالصورة السمعية والبصرية من هذه الصور :

محار يصلصل في ساقية [68]

صورة مفردة سمعية صوت الصلصلة

وأيضا :

وهسهسة الخبز في يوم عيد
وغمغمة الام باسم الوليد[69]

65- بدر شاكر السياب دراسة أسلوبيه لشعره : 34
66- الأعمال الكاملة : 298
67- م 0 ن : 299
68- م 0 ن : 296
69- م 0 ن : 296

ونلاحظ السياب قد استعمل الاصوات المحاكية للطبيعة كلهسهسة والغمغمة وذلك ليبث في القصيدة الحياة

وكذلك استعمل هذه الالفاظ في وصف نتاج الدمار الذي يخلفه الطغاة وذلك في قوله :

ولا هدهدات ولا جلجل
يرن بساق الوليد [70]

الى جانب ذلك هناك صور ذوقية في قوله :

بأن الرغيف الذي يأكلون
امرُّ من العلقم
وان الشراب الذي يشربون
أجاجُ بطعم الدم [71]

وهنا وصف مخلفات الدمار أيضا أي طعام وشراب الناس أمرُّ من العلقم وممزوج بطعم الدم 0

وهناك صور بصرية منها :

عليها من سنا غدٍ يلمح [72]

وهي رمز للأمل أي أنّ هؤلاء الأطفال ضوء الغد

ونلاحظ الشاعر قد استعمل الصورة المفردة منها :

عصافير ؟ أم صبية تمرح [73]

شبه الأطفال بالعصافير ووجه الشبه بينهما هو البراءة والرقة وكذلك هناك صور مفردة بقوله :

سرى دافئاً من عروق الصخور [74]
وكأن للصخور عروق والعروق هي رمز للحياة
وأيضا بقوله :
وفي أعين حجَّرت مقلتاه [75]
وكأن العين قد تحجرت فلم تعد تبصر وهي دلالة على الموت
كخفق الفراشات مرّ النهار [76]
شبّه خفق أجنحة الفراشات بالعصافير وهي تمرح في النهار

70- الأعمال الكاملة : 306
71- م0ن : 306
72- م0ن : 296
73- م0ن : 296
74- م0ن : 297
75- م 0 ن : 297
76- م0 ن : 297
وهناك صور مفردة لفظية كقول :
وكالظل من باشق في الفضاء
إذا اجتاح , كالمدية الماضية [77]
هنا نجد أركان التشبيه واضحة
وكالبرق بنفض في خاطري
ستار وكالجرح إذ ينزف
وينهل كالغيث . ملء الفضاء [78]
تلك الصور اجتمعت لكي تكون صورة واحدة وهي صورة مركبة .

وهناك جملة من الاستعارات والمجازات التي استوحاها من (ستويل) ولكنه أحسن نحتها بشكل جميل وجعلها تنطق بالغرض الذي يريد إيصاله[79] ، منها (رقة الشمأل , تصخاب البحارة , خفق الفراشات واخضلال السهوب , عويل السفين , ومناوحة الرياح , الصدى الراعب , واصطكال الحديد , خفق الفوانيس , وهمس النواعير , ولثغ الراء , ورنة الجلجل , صلصلة الفضة , وزفة السنبل , ورنة الفلس والدرهم , ونعيب صفارة الحرب , وارتقاء دواليب العيد").

في هذه المجموعة نجد هناك مجموعة صور مبنية على الاستعارة والمجاز وهذه الصورة تخدم موضوع القصيدة ألا وهو السلام والحرب مثل (اخضلال السهوب , وخفق الفراشات هي رمز للبراءة او للأطفال فهنا صور رمزية وكذلك رنة الفلس والدرهم ونعيب صفارة الحرب هي صور رمزية أيضا تشير إلى الدمار والطمع) .

وهناك صور معنوية (تصخاب البحارة ومناوحة الرياح ، ورنة الجلجل, صلصلة الفضة) .

77- الأعمال الكاملة :299
78- م.ن:301
79- ينظر النفخ في الرماد:188

نتائج البحث:

يمكن تلخيص النتائج بما يأتي :

1- اتضح بان القصيدة قائمة على التضاد فقد قابل الشاعر بين شيئين متضادين اولهما السلام والحرب اي قائمة على الثنائيات الضدية.
2- التكرارالذي ورد بكثرة في هذه المطولة سواء أكانت تكرار حرف ام كلمة او مقطع من القصيدة.
3- نوّع السياب في القوافي ولم يلتزم قافية واحدة في هذه القصيدة.
4- استعمل الشاعر في هذه القصيدة اهم السمات في الشعر الحر
5- اسلوبه مزيج متقن من الواقعية والرمزية بحيث تبرز الصورة المادية في جوها الوجداني الخاص.

المصادر والمراجع:

1. اصول النقد الادبي ، احمد الشايب ،مكتبه النهضة ،مصر ،ط5 ،1955 .
2. اصول النقد الادبي ،طه مصطفى ابو كريشة، دار الشؤون الثقافية العامة ،لبنان،ط1996،1.
3. الاعمال الكاملة ،انشودة المطر ، بدر شاكر السياب .
4. بدر شاكر السياب ،انطونيوس بطرس ،المؤسسة الحديثة للكتاب ،طرابلس _ لبنان.
6. بدر شاكر السياب التحربة ومفهوم الريادة ، ماجد صالح السامرائي، وزارة الثقافة والاعلام ، مهرجان المربد الشعري العاشر ، 1989 .
7. بدر شاكر السياب دراسة اسلوبية لشعره ، د. إيمان الكيلاني ، دار وائل للنشر والتوزيع، الاردن ـ عمان ، ط1 ، 2008 .
10. البلاغة العربية ، بن عيسى باطاهر ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا ، ط1 ،2008
11. بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر ، مرشد الزبيدي ، دار الشؤون الثقافية، العراق ـ بغداد ، 1994 .
12. التكرار في شعر محمود درويش ، فهد ناصر عاشور ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الاردن ، ط1 ،2004 .
14. دير الملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، د. محسن اطيمش ،دار الرشد للنشر ، العراق ـ بغداد ، 1982 .
15. رماد الشعر دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق ، د. عبد الكريم راضي جعفر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ـ بغداد ، ط1 ، 1998.
16 . الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، د. محمد فتوح احمد ، دار المعارف ، مصر- القاهرة ، ط2 ، 2003 .
17 . الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث ، محمد علي كندي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبنان ـ بيروت ، ط1 ، 2003 .
18 .الشعر الحر في العراق ، يوسف الصائغ ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 2006 .
19 .الصورة البلاغية عند عبد القادر الجرجاني ، د. احمد دهمان ، منشورات دار الثقافية ، دمشق ، ط2 ، 2000 .
20. الصورة الشعرية ، سي دي لويس ، تر/ احمد نصيف وآخرون ، دار الرشيد ، العراق ـ بغداد ، 1982 .
21 . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د. جابر عصفور ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، مصر ، 1974 .
22. الصور الفنية في النقد العربي الحديث ، بشرى موسى الصالح ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، 1987 .
23. لسان العرب ، ابن منظور ، دار الحديث ، مصر ـ القاهرة .
24. لغة الشعر العراقي المعاصر ، عمران خضير الكبيسي، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط1، 1982 .
25. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الاثير ،نهضة مصر لطباعة والنشر ، القاهرة .
26 . المعاني ـ علم الاسلوب ، د. مصطفى الصاوي الحبوبي ، دار المعرفة الجامعية ،

مصر ـ الاسكندرية ، 1996 .
27 . معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ، مجدي وهبه وكمال المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط2 ، 1996 .
28. النفخ في الرماد ، د. عبد الواحد لؤلؤة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ـ بغداد ، ط2 ,1989 .